الأسرة والحب

الجزء الثالث

من اقوال قداسة البابا شنودة الثالث

هو ذا أنا هكذا يارب باستمرار أتدخل فيما لا يعنينى ...

لست أقصد التدخل فى شئون الناس ، إنما فى شئون نفسى متى يأتى الوقت الذى أتـرك فيـه أمور نفسى لك .. حيثما تسيرنى أسير وكيفما تصيرنى أصير ...

متى أرضى بحالتى التى إرتضيتها أنت لى ، فلا ألح عليك فى تغييرها كانـك غافـل عـن صالحى ...

متى تتحول صلاتى من طلب إلى شكر ، او متى أبحث عن شئ أطلبه فلا اجد ، لانى لـست أجد شيئاً خيرا لى الآن مما أنا فيه ...

متى أؤمن بك الايمان كله فأستأمنك على حياتى تدبرها كيفما تشاء أنت يا صانع الخيـرات ، دون أن اقحم نفسى فى عملك هذا واتلصص متجسسا عليك لأرى ماذا تعمل بى! وكيف تعمل! وهل عملك مقبول (عندى) أم لا ؟ وهل يستدعى الأمر تدخلا منى أم لا يستدعى !!..

متى تعتقنى يا رب من ذاتى ؟ متى ؟ (سنة ١٩٩٥)

حب بلا حدود

خدم يسوع حبيبه بكل طاقاته .. أحب الانجيل والتهب بعشقه .. جاهد كـى يتذوقـه الجميـع ليجدوا اللؤلؤة كثيرة الثمن وقد صوّرها على قلبه ليعيش بها ومعها وفيها .. بدأ يكتب وينشر ثم يعيد كتابة ما كتب وينشر .. كتب للكبار .. والشباب .. والاطفال ..

وفى كل مرة يجدّد .. ويبتكر .. ويُشرك الجميع معه فى العمل .. فى داخل مصر وخارجهـا ..

فى يوم تلقى رسالة تقول " كنت اصلى يا أبانا أن يعيدك الله لشعبك الذى أحبك .. وأعتـرف معك من ينابيع المحبة الالهية .. ولكنى اليوم نادم لرجوعك وأرجو الله أن يعود بك حيث كنت وبلا رجعه " إمضاء ...

طوى " أبونا " الخطاب متعمدا ألا يقرأ إسم المرسل حتى لا تترسب فى نفسه أية مشاعر سلبية نحوه ...

ومضت الأيام .. وحب " أبونا " لإبنه يزداد عطاءاً .. وحياة الابن الرافض لأبوة أبيه الروحى تزداد تعقيدا .. نُقل الابن لمأمورية خارج مدينته حيث الأسرة والأهل وبدأت العراقيل تعلـو وتعترض حياته .. وتحول دون العودة إلى مدينته وأهله حيث حياته كلها .. أحس بالغربة ..

هنا ادرك الابن أن جحوده هو سبب مأساته .. فرجع لأبيه الروحى الذى استقبله كعادته بالحب والترحاب .. تعثرت الكلمات فى فمه .. وتساءل فى مرارة لماذا يتصنع " أبونا " جهله بمضمون رسالته .. ثم استجمع شجاعته وقال معتذرا " لابونا " لقد أُغلقت فى وجهى أبواب المدينة التى طلبت من الله ان يبعدك عنها بلا رجعة .. فأبعدنى أنا منها .. فما كان من "ابونا " إلا أن احتضنه وقبّله قائلا " يا ابنى إنها المرة الاولى التى أتعرف فيها على صاحب هذه الرسالة .. لقد قررت ألا أقرأ اسم كاتبها حتى لا أتعثر بضيقى منه .. "

بكى الابن نادما .. ان قراءة اكثر الكتب عمقا وروحانية .. لم تجعله يدرك محبة الله نحوه كما تذوقها فى تصرف " ابونا " نحوه ..

الرب يسوع يحبك شخصيا .. وفى حبه لا يذكر خطاياك – يريدك فقط أن ترى أحضانه الأبوية مفتوحة أمامك لتنقلك الى حيث الأذرع الأبدية .. إلى حضن الآب .

حبى لوالدىّ

حلّ عيد زواج أبى وأمى العشرين .. ولم يحتفلا به .. كانت المشاكل بينهما متعددة ومتنوعة .. حتى أنهما مراراً كثيراً أشارا إلى إمكانية الإنفصال دون أن تكون لهما الشجاعة فى خوصه .. فقد كانا مسئولين عنى .. أنا إبنهما الوحيد ذو الأربعة عشرة ربيعاً ..

فى آخر مشاجرة بينهما شاهدتها وأتذكرها جيداً .. قام كل منهما بتحطيم كل ممتلكات الآخر .. حتى لم يبق شئ فى منزلنا لم ينكسر .. ملأت الثقوب الحوائط .. بينما تناثرت على الأرض .. شظايا كل ما تم تحطيمه ..

دفع أبى أمى أرضاً .. دفعة شديدة .. شاهدت هذا المنظر وأنا فى حالة من التمزق والألم العنيف .. إستلزم الأمر افتراقهما .. وكان هناك قرار يجب أن أتخذه .. مع من منهما اختار أن أعيش ؟! كان ينبغى أن أختار بين أبى وأمى .. وأعرف أن قرارى سيؤثر سلباً على علاقتى بالآخر .. ويسبب له ألما لا أريده أن يتعرض له .. بعد تفكير قررت أن أعيش مع أمى .. تألم أبى فى سكوت وبلا إعتراض لهذا القرار .. لكن كان القرار أصعب ما كنت أتصور .. فأمى لا تكف عن الذم فى أبى وفى طباعه الفظة .. كانت تحمل له جنونيا فى قلبها وتريد أن تنقله الىّ .. تريد أن يكون حبى لها وحدها دون أبى .. ولأنى أحب أبى أيضا ضايقنى تصرفها وأمضينا أوقاتنا معاً فى شجار دائم ..

بعد مرور سنة .. قررت أن أذهب لأعيش مع أبى بعد أن أصبحت حياتى مع أمى مستحيلة .. كنت ألومها للمشاعر التى كانت تحاول أن تبثها فىّ لأحقد على أبى .. بدأت حياتى مستقرة مع أبى غير أنه لم يمضى سوى أسبوع واحد إلا وبدأ نفس السيناريو .. بث فى السموم تجاه أمى .. ثم إنى بدأت أستشعر أن أمرى لا يعنيه كما كنت أتصور .. كنت أتغيّب عن المنزل دون

أن يسألنى متى عدتُ ؟ أين كنت ؟ ومع من ؟ هنا تمتعت بكامل حريتى بلا قواعد ولا قوانين ولا التزام .. إنفلت لجام حياتى ..

تحققَتُ أن حياتى قد إنكسرت بافتراقهما .. كان لكل منهما أخطاؤه دون أن يعترف بها لنفسه ؟ بل على العكس يحاول دوماً التضخيم من أخطاء الآخر .. من هنا لم أستطع أبداً أن أحدد من منهما المخطئ ؟! وأختار أن أعيش مع الواحد دون الآخر .. فقررت أن أعيش معهما معاً .. لم أسمح لهما بالتأثير على مشاعرى نحو كل منهما .. أو الدفاع عن الواحـد دون الآخـر .. طالبتهما بأن يحتفظ كا منهما بوجهة نظره فى الآخر لنفسه .. حاولا دون أن ينجحا .. هنـا قررت أن أقوم بتلك المهمة لنفسى .. لن أهتم بما يقوله كل واحد عن الآخر .. أحببتهما معـاً بأخطائهما وضعفاتهما .. هنا فقط بدأت أتحكم فى حريتى وأتغيّر نحو الأفضل ..

حياتى معهما سوف تكون الرباط القوى بينهما .. حبى لكل منهما سيجذّبه إلى الآخر .. حبهما وتقديرهما لحبى لهما .. سيتقرّب بينهما .. حبى العظيم لكليهما سيجمعهما .. لنعـيش سـوياً ومعاً بلا فرقه .. ولا إفتراق .

بركات السماء

فى يوم من أيام الصيف الحارة .. خرجتُ الى حديقة منزلنا .. ألعب بالكرة بعـد أن تخيّلـت صديقة تشاركنى لعبتى المفضلة .. فقد كنت وحيدة والدىّ .. أشعر بالملل الفظيـع والوحـدة القاتلة ..

فجأة توقفت أمام الحديقة المجاورة لنا .. سيارة كبيرة .. عرفت أنها تحمل جيراننا الجـدّد .. ولكم تمنيت لحظتها أن يكون لهم فتاة فى سنى تشاركنى فى كافة نشاطاتى .. نزل من العربة شخصان وفتحا باب العربة ثم انحنيا يجذبان بعناية فائقة عربة تحمل فتاة مُقعـدة .. ألجمـت الدهشة حواسى ولسانى .. جمّدت المفاجأة أوصالى .. ثم تملكتنى الحسرة الشديدة .. هل هذا الشئ هو الصديقة التى طالما تمنيت أن نكون دوماً معاً ؟!..

أخذت أمى مبادرة التعارف بأن دعتهم للعشاء معاً .. رنّ جرس البـاب فـذهبت لأفـتح .. عرّفتهم بنفسى بينما بدأ والدا الفتاة يشرحان أن إبنتهما قد وُلدت بتخلف عقلى أفقدها الحركـة والنطق .. فى خجل شديد تقدمتُ نحو الفتاة أُحييها . أجابتنى التحية بضحكة عالية جـداً لـم تطرق أذنى مثلها من قبل .. إلا أنها زلزلت كل كيانى وفجرّت فى داخلى كل مشاعر الصداقة الكامنة فىّ .. حقا صدق من قال " إن الابتسامة أقصر طريق للتعارف بين شخصين " .

تصادقنا إذن فى صداقة قوية ربطتنا معاً .. وهذه الصداقة علمتنى أن الناس الأبرار لهم أيضا تجاربهم .. علمتنى الصبر إذ رأيت صديقتى تبذل الجهد والوقت لتقوم بحركـة صـغيرة لا تستغرق عادة سوى ثوان معدودة .. علمتنى أن أكون رحيمة إذ إنحنيت نحو قلبها فى محاولة

لبث الطمأنينة والراحة فى هذه العيون المعذبة .. تعلمت الشجاعة إذ رأيت جهد صديقتى العظيم فى تقبل هذا الجسد المائت .. وهذا الفم الصامت ..
ثم عرفت أيضا أن صديقتي تستيقظ فى كل صباح على آلام مبرحة تمسك بكل أوصالها .. تتناول طعامها فى عذاب لأنه لابد لها من يطعمها .. قدرتها على الكلام هى مجرد حلم لها ولوالديها .. وقوفها مستحيل .. كل ما تستطيعه هو هذه الضحكة الرنانة .. لتتواصل بها مع الآخرين..
إرتباطى بصديقتى الجديدة دفعنى لمساعدتها .. كنت آخذها للتنزه معاً وتشكرنى بضحكتها الجذابة .. أضع عروستى بين يديها .. أجمع أمامها المكعبات فترى الصورة وتحيّينى بنظرة من عينيها ..
من خلال تلك العلاقة الحميمة إمتلأ قلبى فرحاً وشكراً إعتبرت مساعدة صديقتى هى هدية السماء لى .. صارت سعادتها هى سعادتى .. زال عنى كل تبرم بوحدتى ثم أحسست إنى غنية جداً لأنى أستطيع أن أجلس وأن أقوم .. أن أنام وأن استيقظ .. أن أفتح فمى لأتكلم .. وأن أمد يدى لأخذ ما أريده .. أن اختار ما يناسبنى من طعام وملبس ثم أن أعتمد على نفسى فى أمور حياتى الخاصة ...

حقا ان بركات السماء لى .. لا يحصى لها عدد

هدية السماء

أمسكت الأم الحامل ببطنها المتوّجع .. إنها فى الشهور الأخيرة من حملها .. كل ما فيها يؤلمها .. رفعت الأم رجليها المتورمتين .. حاولت أن تسترخى بينما نسمة الربيع المرطبّة تغلّف الكون حولها بهدوئها .. فى هذا اليوم تجتمع الأسرة لغذاء يشترك فيه كل أفرادها .. إنها فرصة فريدة للقاء الصغار معاً للعب والغناء .. الأحاديث الشيّقة تعبر عن الشوق وسعادة اللقاء .. وكعادتها تفنّنت أمى فى إعداد أجمل أصناف الأطعمة التى نحبها والتى لا يجيدها سواها .. فهى ممتلئة حيوية على الرغم من آلام الروماتويد العنيفة التى تُعيق حركتها أحيانا كثيرة .. دائما أفتخر بأمى .. فالحب والبذل سماتها الأساسية وهى لا تجد سعادتها الحقيقية إلا فى إسعاد أفراد أسرتها .. قلبها الكبير يستشعر إحتياج كل منا لتسرع وتلبيه .. مراراً كثيرة حاولت أن أجعلها تهتم بما لنفسها ولم تختلف إجابتها لى أبداً إنى أجد سعادتى فى إسعادكم .. كما إنى أجد متعتى فى العمل الذى يجعلنى أكثر نشاطاً .. ليس بينى وبين الفراغ أية مودة " .. بهذا المنطق كانت ترفض كل عروضى الرامية لراحتها .. تركتها لسعادتها .. وعدت بذاكرتى لذكريات الطفولة .. الصيف الذى كنا نقضيه معاً على شاطئ البحر .. والليالى التى كنا نقضيها فى حديث أسرى شيّق وممتع .. حيث كل منا ينفتح على الآخر .. يحكى أحداث

يومه .. بينما يشارك الجميع مشاعره .. بين التعب والراحة .. والحزن والسعادة .. والقلق والطمأنينة .. كانت حياة كل منا كتاب مفتوح مقروء من جميع افراد الأسرة .. أبى يقص علينا مشاكله فى العمل .. ونشاركه فى طرح الحلول .. كذلك أمى تقدم له المشورة الحكيمة .. وتطرح أمامنا تخوفها من المبادئ الجديدة التى تسود المجتمع .. ومشاكل الصديقات والأقارب مع أولادهن .. جلسات فريدة غرست فى كيانى مفهوماً عجيباً للأسرة .. تضامنها .. تفاهمها .. حبها .. ملأتنى هذه الذكريات الطيّبه بالراحة بينما جاءنى صوت أمى " فى دقائق معدودة سأكون لك " .. جاءت أمى تحمل لى هدية لطفلى القادم .. لقد وجدتها مناسبة جميلة أن ترحب به فى محيط أسرتها والهدية عبارة عن جاكت تريكو أمضت أمى الليالى لتشغلها على الرغم من آلام الروماتويد التى تعيق حركة أصابعها .. إحساسى بمعاناتها سرق الكلام من فمى .. جاءنى صوتها " لقد أعتدت أن أفعل لكل منكم مثل هذه الجاكت .. وجاء الوقت لأعملها لأحفادى "

شعرت بأننى أقرب ما يكون لأمى .. الطفل الذى ينمو فى أحشائى كان همزة الوصل الأخيرة بيننا .. لقد جعلت أمى من أسرتنا دائرة من القوة والحب .. والدائرة تنمو بارتباط كل أفرادها معاً كل فرحة نتشارك فيها تنمى الحب بيننا .. كذلك كل ألم يقوى من حدود هذه الدائرة ..

إنها حقا هدية السماء لنا ..

ملاكى الحارس

صرختُ بإنفعال فى وجه زوجة أبى " لن أكون لك إبنة ولو دفعت لى مال العالم كله " كان هذا أول ردود فعلى عند التعارف بزوجة أبى عملاً بمبدأ الشباب القائل " أن الهجوم افضل وسيلة للدفاع " ...

لم أستطع أن أستوعب مجئ إمرأة أخرى يحبها أبى ويتزوجها بعد وفاة أُمى .. عقدتُ العزم مع أخى الشاب على تحديها .. كنا على إقتناع تام بأنها عدوتنا الجديدة ومصدر كل مشاكلنا .. فأطلقنا عليها الإشاعات الكاذبة فى المدرسة التى تعمل بها .. وتضافر معنا الأصدقاء لمضايقتها فماذا كان رد فعلها ؟

حب طاهر لا يُحد .. نابع من غريزتها .. يحوط بنا .. نظمت لنا حياتنا من مأكل .. وملبس واستذكار .. وخروج .. وتنزه .. ورياضة .. وقراءة ...

كنت بطبيعتى استقلاليه أخرج وادخل كما يحلو لى ولكنها أرادت أن تتعرف على برنامج خروجى .. وتعرف صديقاتى .. كانت تستقبلنى مرحبة فى دخولى وتتمنى لى التوفيق فى خروجى .. لكنى تعمدت أن لا أمكنها من فرض محبتها علىّ .. فكنت أمكث فى حجرتى

وأُغلق الباب علىّ مع صديقاتى ألا إنها كانت تظهر فجأة تعّرف نفسها بالـصديقات وتطلـب التعرف عليهن ..
كنت أهرب منها كلما أرات أن تتكلم معى .. وكنت أتجنبها كلما أردات أن تحتضنى .. فكان ردها عجيباً " أعرف إنك لا تريدنى أن أحتضنك ولكنى سأحتضنك مهما كان الأمر .. كتبت لى الخطابات الكثيرة بامضاء " إنى أحبك " فكنت أمزقها وأرميها حيث يمكنها أن تراهـا .. فكتبت لى الخطاب التالى " أعرف إنك ستمزقينه ولكنى أردت أن اقول لك " إنى احبـك " .. فى يوم عيد ميلادى التاسع عشر .. دب الخلاف بيننـا لأنـى قـصدت أن أُوذى إبنتهـا .. وخرجت أناقش مع الصديقات المثلى لمهاجمتها .. لكنا فوجئنا بها بعد رجوعنا ترحب بنا .. وقد أعدّت لنا أفضل الأطباق والهدايا .. لقد إحتفت بى وكأنى أميرة ورفعت من شأنى أمـام العائلة والمعارف والصديقات ... هنا أحسست بقيمتى كما أحسست ايضا بأخطائى .. وبعـد إنتهاء العشاء قالت لى " أتمنى لك عاماً سعيداً .. إنى أحبك ...
فى إحدى الأيام كنت أمر بحجرتها فسمعتها تبكى .. لا أذكر ماذا كانت تقول لأبـى ولكنـى سمعتها تقول له فى إشارة الىّ إنى لم أتصوّر أبداً أن تكون بهذه القسوة ، إستمتعت بأنينها .. ولم أكف عن مضايقتها ..
أما والدى .. فكنت غاضبة منه إذ تصورت وكأنه قد أقام حاجزاً بينى وبينه بـسبب زوجتـه الجديدة .. فلقد كانت جميلة .. صادقة .. أمينة .. وكنت أتساءل ما الذى أعجبها فيه ؟! إلـى أن تجرأت وسألتها وببساطتها المعهودة وصفته لى بأجمل الصفات .. وبهذا بدأت أتقبلـه .. ربما أحببته أيضا .. واستطاعت زوجة أبى أن تبنى جسراً من التواصل بينى وبين أبى ..
ثم جاء اليوم الذى وقعت فيه فى مشكلة عظيمة عرفتها زوجة أبى .. فتصرفت معى بـشهامة عظيمة .. أظهرت لى الخطأ الذى وقعت فيه ونتائجه المرة ، مع إنها لم تضخم المـشكلة إلا إنها كانت حازمة عندما قالت له وبوضوح ما يمكنها أن تقبله وما يجب عليها أن ترفـضه .. غير أنها شجعتنى وأعطتنى ثقة فى نفسى بقولها " إنك أفضل من فلانه " أو " كنت دائما أتوقع حدوث مثل هذه المشاكل " أو " لماذا لا تحاولى أن تقاومى هذه الأفعال هل تتركيها تـستبعدك إلى الأبد " ثم فى إيجابية عرضت عليها تصورها لبعض الحلول " وكان موقفها هـذا بلـسماً يداوى جروح نفسى المريضة ..
بدأت تشجعنى لأمارس معها رياضة الجرى وأشترك فى المسابقات ويرجع لها الفـضل فـى فوزى .. فمجرد وجودها كان يبث فى قلبى الثقة فى الفوز ..
لقد كان لزوجة أبى أعظم تأثير إيجابى فى حياتى .. كان لها الفضل فى تغيير مجرى حياتى .. كانت لى القدوة .. والأم والصديقة .. علمتنى معنى الحياة الأسرية .. وتركت فى نفـسى أجمل ذكريات عمرى .. جعلت من كل أجازة صيف اعياداً لا تنتهى .. وبعد تشجيعى علـى

مواصلة تقدمى فى رياضة الجرى التى ملأتنى بالقوة والسلام والثقة بالنفس .. جعلتنى أستطيع أن أعبر عن مشاعرى بالبكاء .. بالصلاة .. والإقدام .. علمتنى كيف أكون متميزة فى العمل وفى الحياة ..

وفوق كل ذلك علمتنى زوجة أبى .. الحب .. أثبتت لى ان الحب يشفى والحبُ يليّن القلوب .. والحب يكشف عن الجوانب الجميلة فى الانسان على الرغم من مظهره الخـارجى الفـظ .. والحب يغيّر من الإنسان .. والحب وراء كل نمو وتقدم ..

أجدنى اليوم فخورة بزوجة أبى .. لا بل بأمى ... وهى تنادينى بــ " يا إبنتـى " وأعطتنـى الإمتياز أن اناديها بــ " يا أمى "

إنها حقا ملاكى الحارس

أعطوا .. تعطوا
لو٦ : ٣٨

فى يوم من أيام ديسمبر الباردة .. جلستُ فى ملل وضيق .. ليس لى إنسان اتحدث معه .. ولا شئ يشد إنتباهى لأفعله .. برامج التليفزيون مملة والأصدقاء بعيدون عنـى .. قـرأت كـل المجلات والجرائد .. ولعبت ببعض العاب الكمبيوتر .. ومع ذلك فما زال الوقت امامى طويلا .. يمضى ببطء شديد وكأن عقارب الساعة قد توقفت .. حتى انى شعرت وكأن رأسى علـى وشك الانفجار ..

وهنا دق جرس الباب .. لتطلب منى عمتى ان اذهب معها للتسُّوق .. وجدتها فرصة عظيمة لأشترى تى شيرت كان قد أعجبنى جدا .. ولما لم يكن معى ما يكفى من نقود .. رسمت على فمى أحلى ابتساماتى .. ورحت اسأل أمى بصوت خفيض معسول إن كان يمكنها ان تعطينى ما يكفينى لشراء هذه الــ تى شيرت .. أجابتنى أمى لطلبى وعند وصولنا للمحل إفترقت عن عمتى على أن نتقابل بعد استكمال مشترواتنا .. وعند باب المحل لفت نظرى منظـر امـرأة فقيرة .. ترتعش بردا .. وتطلب المساعدة من زوَّار المحل .. تألمت لمنظرهـا وأزدت ألمـا وضيقا .. يا لهذا اليوم العصيب .. فالذى معى يكفى بالكاد لشراء الــ تى شيرت .. ونشب فى نفسى صراع بين ان أعطيها او ان اشترى الــ تى شيرت .. وغلبنى إعجابى الشديد بالــ تى شيرت .. ولكن وعلى الرغم منى اتجه نظرى نحو هذه السيدة المسكينة ..

إتجهت لأستعرض الوان الــ تى شيرت لأختار منها المناسب لى .. ولكن صورة المـرأة لا تفارق عينى وقلبى .. فتركت المكان واتجهت الى حيث المرأة .. حينئذ قـررت ان حاجتهـا للنقود تفوق وبكثير حاجتى لهذا الــ تى شيرت الذى عندى منه الكثير .. إتجهت نحو الباب .. حيث لطمتنى شدة الرياح .. ووجدت المرأة وكأنها قد تسمرت فى مكانها من شدة البرودة ..

وهنا اخرجت نقودى وبلا أدنى تردد قدمتها لها .. حينئذ استضاء وجهها بفرح عظيم يفوق وبكثير ثمن التى شيرت .. شكرتنى وبشدة بصوت متهدَّج .. فقلت لها " اتمنى لك عاما سعيدا .. وعيدا سعيدا " ثم عدت ادراجى الى حيث سألتقى بعمتى ..

وعند رجوعى للمنزل ... أخبرتنى أمى ان هناك خطابا ينتظرنى انه كارت معايدة من عمى ومعه ... شيك يصرف لحامله .. متمنيا لى عاما سعيدا .. وعيدا سعيدا ..

كنت قد سمعت ان المعطى المسرور .. الذى يضحى بتقديم الثمين والغالى لله .. يعوضه الرب بمئة ضعف ..

ولكنى فى هذا اليوم القارس البرودة من ديسمبر قد اختبرت ولمست ورأت عينى .. أن هذا الذى سمعته ليس مجرد قول .. بل هو حقيقة نلمسها ونختبرها .. ونعيش بها ..

غنى أمى

نشأت فى أحضان أمى .. تحيطنى رعايتها وعطفها .. وتتكفل بكل إحتياجاتى .. واحتياجات أخوتى .. لم نشعر ابدا بشئ ينقصنا .. إمتلكنا اللعب لنلعب .. والكتب لنقرأ .. لبسنا الملابس النظيفة التى حاكتها أمى خصيصا لنا .. ونزلنا الى مدارسنا وشعرنا منسَّق .. وأحذيتنا نظيفة ولامعة .. كنت سعيدة فى مدرستى أختزن كل ما هو جديد فى العلم .. وأنمَّى مواهبى .. وأحظى بتقدير مدرساتى .. مما ملأنى فخرا .. ومضت حياتى سعيدة هنية إلى أن بلغت المرحلة الثانوية .

فى يوم شاهدت إحدى الزميلات تشير نحوى وهى تقول لزميلاتها " انظرى الى هذه الفتاة الفقيرة " .. كست الحمرة وجهى .. وانتفض جسمى الصغير من البكاء .. وكان الحزن رفيقى طوال هذا اليوم .. وفى طريقى لمنزلنا .. إشتد الصراع داخل نفسى .. وتصادمت مشاعرى .. وتساءلت فى مرارة " ترى لماذا ظنت الفتاتان إنى فقيرة ؟ " وللمرة الاولى أنظر الى ثوبى بعين ناقدة .. فأراه باهت الألوان .. بعيدا عن كل جمال .. أما حذائى فقد بلى وضاعت معالمه الحقيقية .. أشفقت على نفسى .. فزادت مرارتى .. وعندما دخلت الى منزلنا خُيِّل لى أنى غريبة عنه .. لقد صبغ الزمن جدران المنزل بأثاره المدمرة .. بينما إنكمشت وتصاغرت ستائره .. وترنحت كراسيه .. لم اكن أدرى انى أسكن فى مثل هذا البيت الذى ينطق بالفقر والعَّوز .. إستغرقتنى أفكارى السوداء فلم أسمع صوت أمى تدعونى متهللة كعادتها لتناول الغذاء .. لقد أعدت لى طبقى المفضل كعادتها أيضا .. وعلى الرغم منى .. قارنت بين هذه المائدة ومائدة زميلاتى التى تزينها أفضل أنواع الأطعمة .. والمقارنة أشعلت الغضب المكتوم فى داخلى .. وملأتنى إحساسا بصغر النفس والقنوط .. وضاعف إحساسى بعجزى فى مواجهة حياتى كما أراها الآن – من ثورتى ويأسى .. ترى لماذا لم تصارحنى أمى بحقيقة

وضعنا ؟ لماذا تركتنى فى جهلى .. حتى تكشفه لى زميلاتى ؟! إستجمعت شجاعتى وذهبت حيث كانت أمى تعد لنا طعام العشاء فى المطبخ وسألتها فى حدة " هل نحن حقا فقراء " أنتظرت من أمى أن تنفى الأمر أو تدافع عن فقرنا أو على الأقل أن تهوّن على الأمر حتى تنتزع مني هذه المرارة التى تملأ نفسى .. غير أن أمى نظرت الىّ بنظرة ثاقبة وتريثت قليلا قبل ان تقول لى " بكل تأكيد نحن لسنا فقراء " ثم أشارت بيدها نحوى ونحو أخوتى وهم يلعبون ويضحكون فى الحجرة المجاورة .. وإشتعلت عينيها ببريق الحب الذى يربط كل أفراد اسرتها وهى تردد " بالطبع نحن لسنا فقراء " ..

ثم أمسكت أمى بيدى تستعرض أمامى غنانا . نحن نمتلك المأوى .. والغطاء .. لدينا الملبس .. نأكل حتى الشبع .. لدينا الصحة .. ونمتلك الحب الذى يربطنا معا .. ولكل منكم مواهبه التى ينميها .. وإن كنا لا نملك الكثير من المال إلا أن ما لدينا منه يكفينا .. فماذا ينقصنا بعد؟ هنا كست إبتسامة الرضا والشكر وجه أمى .. واستدارت مسرعة لتعد لنا العشاء .. دون أن تدرى إنها فى هذا المساء لم تشبع جوعى الجسدى فقط .. بل أشبعت بكثرة غناها .. قلبى وروحى .. إننا حقا أغنياء !!!

يعطيك سؤل قلبك

كان الليل يغلّف بظلمته الحالكة منزلى .. جلستُ وحيدة لا يؤنس وحدتى سوى بعض الزهور التى كنت قد زرعتها .. بينما أنسابت دموعى بغزارة إذ كنت أستعرض أيام صباى الماضية . كنتُ فى الثامنة عشرة من عمري عندما تزوجتُ منذ ٢٥ عاماً من زوجى الذى تركنى دون أن أعرف له مكانا.. لقد أخذ متعلقاته ومضى .. فشلتُ أن أعيش سعيدة كما كنت قد قررت .. الشعور بالوحدة يقتلنى .. لقد ذهب الأولاد كلٍ إلى حياته .. وتركنى زوجى ، كنت قد تذوّقت لذة العشرة مع الهى .. لذا أحببت زوجى من خلاله .. لأنه كان سكيراً .. وخائنا .. ومع ذلك إجتهدت لأجعله سعيداً .. ضاعفت من جهدى لأكون فى أفضل صورة .. غيرت من عاداتى .. ومن مفاهيمى .. وفى كل صباح كنت أطلب من إلهى أن يقود خطواتى ويمنحنى الحكمة لتدبير بيتى .. كما سألت التوبة والخلاص لزوجى متمسكة بقول المزمور تلذذ بالرب فيعطيك سؤال قلبك (٣٧: ٤) وكان سؤال قلبى أن أحصد الحب الذى زرعته فى زوجى وأولادى .. فيحبوننى ، واثقة أنه يستطيع ان يفى بوعده ..

ساندتنى نعمة الله فتخطيت مع زوجى الكثير من الأزمات التى إعترضت طريق حياتنا .. ساندنا أولادنا فى صراعاتهم ومشاكلهم .. وتحمل كل منا ضعفات الأخر ..

إلا إنى هأنذا أجلس وحيدة .. أبكى فى ظلمة الليل .. تملأنى هذه الذكريات .. بالمرارة والألم .. لكنى كنت مطمئنة إنى لست وحدى ... لأن الله معى .. وهو يحبنى .

كنت أمر بفترة عصيبة .. ولكنى نظرتُ للمستقبل من خلال نظرة الله التى تخطط لحيــاتى .. فهو الوحيد الذى يهتم حقاً بى .. ولم أكف عن الصلاة من اجل زوجى فى كل صباح حتــى يتصالح مع نفسه .. ومع الله .. ومعى .. ، مرّت الأيام .. ثقيلة رتيبة .. إلــى أن جــاءتنى مكالمة تليفونية .. إنه زوجى ! يريد أن يقول لى شيئاً مهماً .. من خلال دموعه .. يعلن توبته عن السكر والخيانة .. ليطلب وجه الرب .. سألنى الرجوع .. لنعيش معاً فى حيــاة زوجيــة جديدة .. فطلبت بعض الوقت للتفكير .. تفرغتُ للصلاة لله الذى وعد أن يعطينى كل ســؤل قلبى دون أن أشك فى قدرته ونعمته ..

ومرة أخرى رأيت يد الله تعمل وتفتح بصيرتى لرأب الصدع فى علاقتى بزوجى فأدركتُ إنى لم أعرف أبداً جوهر حقيقة زوجى .. ولم أثق فيه أبداً ..لقد وثقت فى نفسى دون ســواها .. فخرج زوجى يعبّر عن إعتراضه بالسكر والخيانة .. تذكرت وعودى والكاهن يكللنا بأكاليــل المجد والكرامة .. أين هى ؟!.. أين البشاشة أين الوداعة ؟! .. إحتفلنا معــاً بعيــد زواجنــا السادس والعشرين .. أن أسعد يوم فى حياتى .. لكى نبدأ بدءاً حسناً .. إكتشفت فى زوجــى إنساناً جديداً لم أكن أعرفه أبداً .. لقد تحققت أحلام الطفولة .. ونلت سؤل قلبى

بيضة عيد القيامة الفارغة

وُلد بجسد معوق .. وعقل لا ينمو ... بلغ الثانية عشرة من عمره وهو ما زال فــي الــسنة الثانية من المرحلة الابتدائية ... وجوده تسبب في ضيق المُدرّسة ... فهو مخبــول ... دائــم الحركة ... دائم الشغب ... تصدر عنه من آن لآخر أغرب الأصوات ... إلا أن ذلــك لــم يمنعه أن يتكلم بوضوح وبتركيز في بعض الأحيان .. وكأن شعاعاً من نور قد إخترق ظلمة أفكاره ... ولكنها كانت فترات قصيرة في حياة كاملة إتسمت بالفوضى وعدم الإدراك ...

ومن هنا قررت المدرسة استدعاء والديه للتشاور .. وقالت لهما " إن ابنكما يحتاج لمدرســة خاصة .. مكانه ليس هنا .. فالفرق بينه وبين زملائه شاسع " ...

انسابت الدموع غزيرة من عيني الأم .. بينما قال الأب " في الحقيقة انني لم أجد له مدرســة خاصة بالقرب من هنا ... ثم أن نقله من هذه المدرسة سيكون صدمة عظيمة له .. فهو حقــا يحب هذه المدرسة "..

إذن فهو باق معها ... سرت في جسم المدرسة وروحها برودة شديدة لا تقارن ببرودة الجــو في الخارج والمطر المنهمر الذي يقرع بشدة على نوافذ الفصل ... فعلى الرغم من محاولتها لتفهم موقف الوالدين إلا انها فشلت في التكيف مع تصرفات ابنهما المعاق .. بــل ولــم تعــد تحتمل وجوده معها في الفصل ...

وفيما كانت تستعرض هذا الموقف الكئيب ... شعرت بتأنيب ضميرها فإن كان معاقا فلا ذنب له ... انه طفل مسكين حرمته الحياة من صحته الجسدية والعقلية ... هنا صرخت المدرسة " يارب ساعدني لأتحمل تصرفاته " ...

ومن تلك اللحظة بذلت المدرسة كل جهدها لتتجاهل هذا التلميذ وتصرفاته المستفزة ... غير أن محاولاتها باءت بالفشل عندما فوجئت به ذات يوم ... يقترب من مكتبها ... وهو يجر خلفه رجله اليسرى ويقول لها بأعلى صوته " إني احبك " ذهل التلاميذ ... بينما كست الحمرة الشديدة وجه المدرسة ... وتلعثمت الكلمات في فمها وهي تقول " اشكرك على محبتك ... والآن إرجع الى مكانك " ...

ومع حلول الربيع ... اقترب عيد القيامة الذي تصدّرت أخباره أحاديث التلاميذ فقد شرحت لهم المدرسة قصة هذا العيد ... وأعطت لكل منهم بيضه من البلاستيك وهى تقول " فليأخذ كل منكم هذه البيضة الى منزله ويضع شيئاً في داخلها يمثل الحياة الجديدة ثم يأتي بها اليّ في الغد ... هل فهمتم " أجاب التلاميذ في فرح " بالطبع قد فهمنا " ... وبنظرة خاطفه نحو التلميذ المعاق ... رأته المدرسة ينظر اليها بتركيز شديد دون أن يتحرك وتساءلت " ترى هل فهم قصتي عن موت المسيح وقيامته ... هل أدرك معناها ؟!

وفي اليوم التالي جاء التلاميذ ... وفي فرح وضع كل منهم بيضته في الصندوق الموضوع على مكتب المدرسة ... بدأت المدرسة تفتح كل بيضه فوجدت في الأولى زهرة ... إشارة للحياة التي خرجت من البذرة المدفونة ... وفي الثانية وجدت فراشة فخروج الفراشة من الشرنقة تمثل الحياة الجديدة ... وفي بيضة أخرى وجدت قطعة من الصخر وقد نبت فيها بعض الأعشاب الخضراء كناية ايضا عن الحياة ... فتحت المدرسة البيضة التالية ... وعقدت الدهشة فمها في دهشة ... لقد كانت البيضة فارغة ... لابد انها له ... فهو كالعادة لم يفهم ... وحتى لا تتسبب في احراجه وضعت المدرسة البيضة جانبا ... ومضت تبحث عن أخرى لتفتحها ... وهنا ناداها الصبى " لماذا لم تشرحى المعنى الذى تضمنته بيضتى ؟! اجابت المدرسة " ولكنها فارغة يا إبني " فثبت نظره اليها وهو يقول " إنها تمثل قبر المسيح الفارغ " ... إنعقد لسان المدرسة ... ولما استطاعت الكلام سألته " وهل تعرف لماذا كان القبر فارغا ؟ اجابها في ثقة " لأن يسوع قد قتل ودفن ولكنه قام " ...

وضرب جرس الفسحة ... وبينما تسابق التلاميذ الى الحوش ليلعبوا ... تساقطت دموع المدرسة ... بعد أن أذاب هذا التلميذ المعاق كتل الجليد التي حالت دون انفتاح قلبها نحو محبته ...

وبعد ثلاثة شهور .. مات التلميذ ... والذين ذهبوا لزيارة قبره ... فوجئوا برؤية كمية من البيض وقد رصت بعناية فائقة فوق قبره وكلها فارغة ... في اشارة واضحة تقول " لابد انه قائم الآن مع يسوع الذي قام ... وترك لنا قبره فارغا ...

أفضل النتائج

أعمل كطبيبة متخصصة في تنظيم الوجبات والتخسيس ... أساعد الناس في العناية بأجسادهم والمحافظة على حياتهم .. لذا تقابلت مع آلاف الناس الذين تعاونوا معي ... فتحسنت أحوالهم ... خاصة تلك الحالة التي كانت لفتاة تعاني من الزيادة المفرطة في وزنها وهي بعد في التاسعة عشر من عمرها .. ولقد أثرت هذه الزيادة المفرطه سلبياً على صحتها .. وعلى شكلها بوجه عام .. فصارت بلا منظر ..

تكلمنا سوياً وأبدّت سعادة بالغة وهي تستمع لي .. ثم إنفجرت باكية حتى إنهارت تماماً .. كانت بائسة .. محطّمة .. بعد حديثي الطويل معها أبدّت إستعداداً في العمل على تحسين نمّط حياتها ..

إنتظمت في الجلسات لمدة أربعة شهور فقدت خلالها عشرة كيلوجرام من وزنها .. لكنها تغيّبت عن الجلسات وجائتني بعد شهرين وقد إستعادت كل ما فقدته .. كانت في حالة نفسية سيئة .. واعترفت لي إن نقطة ضعفها هي الحلوى ... وكانت البداية بعض الحلوى تناولتها في عيد ميلادها .. فكانت هذه البداية بلا نهاية ..

إنتظمت ثانية في جلساتي ... وفي هذه المره فقدت خمسة عشرة كيلوجرام قبل أن تنهار إرادتها ثانية.

كنت دائما أبث فيها الأمل في إمكانية البدء من جديد لكنها كانت دائماً بلا إرادة أمام الحلوى .. كانت واثقة دائماً من الفشل .. إنها أضعف من أن تتحكم في إرادتها .. إنها بلا سلطان على نفسها إذن فلن تستطيع أبداً أن تحافظ على الوزن المناسب .. دفنت آلامها دون أن تستطيع أن تحبس دموعها .. كانت تكره تلك الذات الضعيفة .. وتلك الثقة الضائعة في قدرتها على المقاومة .. فكان تكالبها على تناول الطعام أعنف .. تأكل دون أن تجوع .. وتشعر بالسعادة والنشاط وهي تلتهم الحلوى المفضلّة.

نصحتها بأن تُغيّر من عادتها .. وتخرج من دائره حياتها المعتاده وتهتم بممارسة النشاطات والرياضة المختلفة .. فتساءلت في مرارة " كيف أستطيع أن أمارس الرياضة بجسمي هذا ؟! إن أي مجهود رياضي سوف يقضي عليّ ... نصحتها أن تبدأ بالمشي .. في هواء طلق بقدر ما تستطيع .. رفضت الفكرة فرفضتُ الاستمرار معها وتركت لها مطلّق الحرية بأن تفعل

بحياتها ما تشاء .. أبدت الرغبة في أن تبدأ من جديد .. شرحت لها إنها سوف تصل للوزن المطلوب وتحافظ عليه ولن تحتاج بعد ذلك لبعض الحلوى لتعطيها السعادة والنشاط ...

مضى عامان .. قبل أن أراها ثانية. كانت قد عقدت العزم على الجهاد الحسن والإبتعاد عن شراء الحلوى واكلها .. بدأت تمشى قليلاً .. ثم كثيراً وبدأت تفقد من وزنها القليل ثم الكثير حتى فقدت ثلاثين كيلو جرام .. وإستطاعت ان تحافظ على وزنها .. والعجيب حقا إن تلك التغييرات التي طرأت عليها في جهادها لتحسين مظهرها الخارجي أكسبتها الكثير من العادات الصالحة .. لقد واجهت نفسها .. واجهت ضعفها ... واجهت نقائصها .. والأهم من ذلك لقد واجهت شعورها الدفين بالنقص .. لقد وُلدت من جديد

إستردت ثقتها في نفسها .. وتعاملت بهذه الثقة الجديدة مع الآخرين .. تفوقت في دراستها .. إنتظمت في مأكلها .. وفي ملبسها .. تصالحت مع نفسها ..

والغريب حقاً إنها إختارت أن تفتح ذراعيها وقلبها لكل كسير النفس فشل في إنقاص وزنه وكتبت على باب مدرستها تلك العبارة الجميلة :

"إن أفضل النتائج تحصل عليها عندما تمس وتراً معيناً في حياة محدثك"

حينما حققت وعدي

حُرمت من نعمة الأولاد ... فوعدت ربي أن أكون نعم الأم المثالية ... رُزقت بأربعة أطفال فتحليت بالصبر عندما كسر أولادي البيض على أرضية المطبخ وهم يبحثون عن العصائر.

حاولت أن أتفهم وجود الكثير من السلاحف ... التي يحبها أطفالنا ... في بيتنا ... إبتسمت بلا غضب عندما سكبت إبنتي زجاجة الكاتشب على ملابسها ... لتجرب شكلها في ملابس ذات الرداء الأحمر ... قُمت بتغيير فرش السرير مئات المرات ... لم أتمتع أبداً بأكله ساخنة ، فلم أتبرم ... لم أنم أكثر من ساعة متواصلة في اليوم ... فلم أشكو ... تناثرت اللعب في كل أنحاء المنزل ... فلم أتوان عن جمعها ...

كنا نذهب معاً إلى شاطئ البحر ... نضرب الماء بأرجلنا فرحين ... ونلعب الراكيت سوياً ... كانت عطايانا لأولادنا تنبع من داخلنا ... من حبنا ...

وحلّ عيد الميلاد .. فتفتق ذهنهم في تجسيد أحداث الميلاد ... وقام كل منهم بدوره .. تمتعنا بهذه الحفلة ... وضحكتُ من كل قلبي للمفارقات الطريفة التي وقعوا فيها ... بينما إمتدت يدى في جيبي تبحث بجنون عن قرص أسبرين يخفف من آلام الصداع العنيف الذي أصاب رأسي ...

كان أحد أبنائي مغرماً بلعبة الجولف ... وفي أثناء المسابقة كان حلقه يجف ... ويشعر بألام في معدته ... والخوف يشل حركته ... ولكنه كان دائما يسمع صوت والديه " تشجع ...

سوف تكسب إن الخسارة بداية لنجاح أكيد " ... أمسك بالعصا ... وضرب الكرة بقوة ورأى الكرة تطير ... كانت لحظات مثيرة ... جرى قلبه وعينيه خلالها ... وراء الكرة الطائرة ... حتى استقرت فيما أراد لها أن تستقر ... كان هذا النجاح بداية لطريق البطولة العالمية التي كان يحلم بها دائماً ...

أما ابنتي فكانت تحب القراءة والكتابة ... أعطيتها كراسة جميلة ... وطلبت منها أن تصف مشاعرها في شعر منظم أو نثر جميل ... لقد أفرغت طاقتها وأفكارها في الكتابة ...

كانت كرة القدم لعبة إبني الثالث المفضّلة ... حتى أنه لما أصيب في قدمه وتوقف عن التمرين واللعب ... وإهتزت ثقته في تحقيق آماله كان لإيمان والده في قدرته على تحقيق آماله ... الحافز القوي للتغلب على مشاكله دون أن ينغلب منها ...

بينما كان إبني الأصغر من هواة تسلق الأشجار العالية ليتمتع برؤية مياه البحر وهي تحتضن قرص الشمس ... بينما تتهاوى اوراق الأشجار بفعل نسمة الصيف المنعشة لرؤية هذا المنظر الخلاب ...

ومضت بنا سنين المراهقة في إنسياب ... بلا مشاكل ... حيث وجد كل منهم طريقه مسنوداً بحب الوالدين ومؤزارتهم له فيما يحب ... ومضت سنين العمر يكلّلها رباط الحب والذكريات الجميلة ... وتفهم كل منا لمتطلبات الآخر.

مكالمة هامة

ظلت الأم تقطع الغرفة ذهابا وإيابا ... والقلق يقطع أحشاءها .. لقد خرجت إبنتها ذات السته عشرة ربيعا ... ولم تعد ... أين تراها قد ذهبت ؟ هل حدث لها مكروه ؟ ربما ترقد الآن في إحدى المستشفيات أو ربما .. هنا لم تستطع الأم أن تكّمل ... إن حياتها مرتبطة بحياة ابنتها .. موت ابنتها يعني موتها شخصيا ... اخيرا دقّ جرس التليفون ... هرعت اليه الأم وهي تحبس انفاسها ... جاءها صوت ابنتها تخنقه الدموع " ارجوكي يا أمي ... لا تقولي شيئا حتى أقول لك ما أريد أن اقوله ... ربما تتساءلين أين أنا الآن ؟ إني في الشارع يا أمي ... لا أعرف أين أذهب ؟ ترددت كثيراً قبل أن اطلبك ... ولكن عندما تصورتك وقد جاء من يخبرك ان ابنتك قد ماتت ... لم أحتمل منظرك ... والألم يعتصرك ... واحشائك توجعك ... أريد ان ارجع اليك يا أمي " .. فتحت الأم فاها لتقول " إني .. " إلا أن الابنة قاطعتها وفي مذلة قالت " دعيني اكمل حديثي يا أمي من فضلك " لم تكن تتكلم في غضب بل في يأس شديد ... التزمت الأم الصمت وهي تفكر في الطريقة التي ينبغي تتعامل بها في مثل هذا الموقف " ... وكان الأب يسمع الحديث من سماعة التليفون الأخرى ... فاستمعا معا للابنة تقول " اني في ورطة يا أمي ... اعرف اني قد اخطأت .. ولكني خائفة ... بل وخائفة جداً " تصورت

الأم ابنتها وحيدة في الطريق العام في هذه الساعة المتأخرة ... تقف مرتعدة معترفة بأنها قد اخطأت .. فسقط قلبها .. بل وكاد ينخلع من بين ضلوعها ... جاءها صوت ابنتها منكسراً ... عضّت الأم شفتيها حتى لا تنهمر من بينها مئات الأسئلة التي تريد أن تتدفق منها ... بينما انسابت الدموع من عينيها ... هنا تساءلت الابنة " هل تسمعيني يا أمي " .. أرجوكي لا تغلقي الخط ! إني محتاجة اليك ... اشعر بوحدة قاتلة ؟ أجابت الأم " إني أسمعك ... لن اغلق الخط" كان ينبغي يا أمي أن أقول لك شئ ... ولكن – كما هو الحال دائما – ما ان أحاول ان أكلمك حتى اسمع منك نفس الكلمات " كان ينبغي ان تفعلي هذا. ولماذا لم تتصرفي هكذا ... لقد قرأت يا أمي كثيرا عن التربية فصرت أفضل من يتحدث عنها لكن دون ان يفعل بها ... لم تحاولي ابدا ان تصغي لما أقول ! لم تتركيني ابدا اقول لك ما أشعر به ! وكأن مشاعري لا أهمية لها عندك .. ولأنك أمي .. اعتقدت ان عندك الاجابة الشافية لكل الأسئلة .. لكني في احيانا كثيرة .. لم اكن محتاجة لاجابة .. بل لمن يسمعني ؟ ولمن يحتضني ! ابتلعت الأم ريقها بصعوبة .. لقد جفَّ حلقها .. في الوقت الذي كانت تراجع ما قرأت عن كيفية التعامل مع الابناء في مثل هذا الموقف .. الا انها قالت " إني اسمعك " إسترسلت الابنة: كنت يا أمي اريد ان اطلب منك مساعدتي ولكني لم أفعل .. اذ تخيّلتك وقد انبريّت لتُسمعيني إحدى مواعظك المعتادة ... والتي لم أكن احتملها في ظروفي هذه " اجابت الأم " اين انت لآت اليك واخذك؟ تبدّل صوت اليأس الى صوت الفرح " هل حقا يا أمي تقبليني لتساعديني ... لا تتعبي ... اني آتيه اليك في تاكسي يا أمي " اجابت الأم " وانا في انتظارك " ... وضعت الأم سماعة التليفون ... واجهشت بالبكاء ... وهى تقول لزوجها " ينبغي ان نتعلم كيف نصغي لأبنائنا " .. اجابها الزوج " نعم .. وسوف نتعلم .. سوف نبدأ من الآن .. أن نسمع لأولادنا ...

خلافات زوجية

إعتاد الزوجان على سلسلة من الخلافات تفصل كل منهما عن الآخر .. دون ان يحاول كل منهما ان يتنازل ليلتقي بالآخر .. فالزوجة بدأت تعمل ولا تريد إلا أن تكون ضيفة على زوجها .. بدون مساهمة مادية أو منزلية .. والزوج دائم التبّرم .. دائم الشكوى .. دائم النقد .. يرفض موقف زوجته المستجّد دون أن يحاول أن يحتويها بربط المحبة والتغاضي عن أخطاء له النصيب الأكبر فيها .. لم يجد كل منهما في الآخر أرضية مشتركة تضمهما معا ... وعندما أثمر زواجهما عن طفله جميلة ... إزدادت مشاكلهما تعقيدا ... لقد أقامت الماديات حجابا عظيما بينهما ... فشل كل منهما في ان يتخطاه ... الزوجة تطلب من يساعدها في رعاية طفلتها ... والزوج يرفض المساهمة في النفقات .. ويطالب زوجته بترك وظيفتها ... تلك الوظيفة التي تمثل كل كيانها ... فترك الوظيفة عندها هو فقدان كيان ... وزوال الهدف

... والأمل ، وضياع لسنوات من عمرها فقدتها بسرور ... لأجل الفوز بهذه الوظيفة ... التي ضحت من أجلها براحتها ... ونومها ... وتسليتها ... وصحبة الزميلات والصديقات ... والآن وقد أتى هذا الحرمان ثماره ... ليس من حق زوجها ان يطالبها بهدم معبدها الذي اقامته على انقاض حياتها ...

ويوم إن جلسنا ليتناقشا .. إحتدت العبارات ... وتعالت الأصوات وتعقدت الأمور ... وفشلت مساعي المقربين لهما ... فقررا الانفصال ... هنا شعرت الزوجة براحة من يتحرر من سجَّانه ... وشعر الزوج بالانفتاح من جديد على حياة الراحة والسكينة ...

وفي وسط اجراءات الانفصال من شد وجذب ... شعرت الزوجة بألم في ثديها شخصه الأطباء بسرطان قد إنتشر في غددها اللمفاوية ... أمامها ستة اشهر ... ثم تموت ... إن الوظيفة لم تمنحها الأمن والأمان .. لم تمنع الموت من التسلل إلى حياتها ليستأثر بها ...

واستفاق الزوج ... كيف يمكن ان تعيش ابنته بلا حنان الأم .. إن كل ماله لا يمكن ان يملأ فراغ قلب افتقر لحنو الأم وعطفها ... ثم أن الراحة التي تطلع اليها لم تأت ... لقد أُنتزع جزء منه .. حاول أن يخدع نفسه بأنه سعيد إذ تخلص من نكد زوجته دون أن يدري انه قد صار واحدا مع زوجته على الرغم من الخلافات والمشاكل الكثيرة بينهما ... هنا بدأت الحقيقة تظهر امامه بوضوح تام ... لابد ان تعيش زوجته .. وأم ابنته ..

وجد الزوج في زهرة التيوليب Tulip التي تزهر في الشتاء البارد تجسيدا لرغبته في أن تعيش زوجته حتى ولو قرر الأطباء إنها ستموت قريبا.

حمل الزوج أزهار التيوليب Tulip وذهب لزيارة زوجته .. شكرته الزوجه بابتسامة واهنه .. لقد أضاءت الزهور المتفتحة للحياة ظلمة نفسها وهى تستقبل الموت .. قال الزوج .. سنزرع هذه الزهور في بيتنا .. وسوف تزهر ثانية في نفس هذا الميعاد من الشتاء القادم .. إنسابت الدموع من عينى الزوجه وامسكت بيد زوجها وشكرته .. بينما ضغط الزوج على يد زوجته وهو يتمتم " سوف تعيشين .. سوف نراها سويا في العام القادم ... تضئ لنا بجمالها أركان بيتنا .. بثت كلمات الزوج الأمل وحب الحياة في نفس زوجته ...

وعاشت الزوجة .. بين الزوج والابنة .. لترى في كل عام زهور التيوليب Tulip تتفتح في الشتاء ... ويتفتح معها في كل عام أبواب الأمل في الحياة .. علها تراها مزهرة في الشتاء القادم .. في نفس هذا الميعاد.

إني فخورة بك!

كنت في الثانية عشرة من عمري ... عندما تعلمت من سيدة جليلة مبادئ التسامح والغفران...

في ذات يوم ... كنت ألعب بالكرة مع صديقي بالقرب من حديقة هذه السيدة ... وكل منا يريد أن يحَّرز اكبر عدد من النقط ليفوز في المباراة ... كنت أركض لاهثا وراء الكرة لأسدَّدها في المرمى ... حينما اخطأت الكرة المرمى لتصطدم بزجاج نافذه هذه السيدة وتكسره ... عندئذ ركضنا سويا بأقصى ما نستطيع من قوة ... بعيدا عن المكان ...

وفي هذه الليلة ... ملأ الخوف قلبي ونفسي ... ماذا لو جاءت السيدة تشكوني وتطالب بمعاقبتي ؟! ...

وتساءلت كيف يمكنها أن تحتمل برد هذا الشتاء القارس بلا زجاج يحميها ... كان ضميري يؤنبّني ... وخوفي يؤرقني ... ولكن سرعان ما إستراح ضميري ... وتلاشى خوفي مع مرور الأيام ... لابد أن هذه السيدة لم تستدّل على الفاعل الحقيقي ... وفي كل الأحوال فهى لا تشك فىّ ... فهى تقابلني كل يوم بابتسامتها الساحرة ولطفها الزائد ... وتتمنى لي في كل صباح أقابلها فيه يوما سعيدا ...

ولكن ما لبثت محبتها الفائقة أن أيقظت ضميري النائم ... ففكرت أن أدخّر من مصروفي ما قدّرت أن يكفي لإصلاح زجاج النافذه الذي كسرته ... وضعت المبلغ في ظرف ومعه خطاب قصير أُبدي فيه أسفي الشديد لأني تسببت في كسر زجاج نافذتها ... متمنيا ... أن يكفي هذا المبلغ الضئيل في إصلاح ما أفسدته ...

إنتظرت حلول الظلام ... وخرجت وفي يدي الخطاب ... لأمرره من تحت عقب باب السيدة ... ثم رجعت مسرعا ...

وهنا شعرت بالراحة تملأ قلبي ونفسي ... إذ أحسست أني تحررت من حمل ثقيل كان يجثم فوق صدري ... ويخنقني ... الآن أستطيع أن أثبت عيني في عيني هذه السيدة الكريمة ... بلا خوف ... وبلا تردد ...

وفي اليوم التالي ... تقابلت كالمعتاد مع هذه السيدة الكريمة في الصباح ... وأستطعت أن أبادلها إبتسامتها الحارة بابتسامة مثلها ... وهنا إقتربت منى واعطتنى علبة صغيرة مملوءة من البسكويت فشكرتها وبدأت التهم البسكويت اللذيذ في طريقي للمدرسة ... ولكن فجأة اصطدمت يدي بشئ يختلف ملمسه عن البسكويت ... يا إلهي ... إنه ظرف ... تسمرت في مكاني وأمسكت بالظرف لأفتحه ... وإذ بداخله نقودي التي أرسلتها اليها ... ومعها هذه الكلمات الرقيقة " إني فخورة بك " ...

وهنا أدركت أن قلب هذه السيدة الكبير قد غفر وسامح ... ولم يرفض مساءلتي فقط ... بل وتسامى فوق الخسارة المادية ... وإفتخر بجهدي الضئيل ... ليرسي في قلبي الصغير المعنى الحقيقي للتسامح والمغفرة ! ...

شباب دائم

في عيد زواجنا الثلاثين ... أحاطني والدايّ وقد ظهرت آثار السنين عليهما ... وأبنائي الشباب .. نظرتُ نفسي في المرآة ... فجاءت صورتي ... جميلة ... وكأنني لم أقترب من الخمسين ... لقد إستطاع زوجي أن يوقف عجلة الزمن ... فمازلتُ في عينيه وفي قلبه تلك الفتاة ذات الثمانية عشر ربيعاً التي أحبها وتزوجها والتي مازال يناديها بـ " يا صغيرتي " ... نمارس سويا رياضة المشى اليومية .. ونخرج مع أولادنا لتناول عشائنا مرة في الأسبوع خارج المنزل ... كثيرا ما يثني على فستاني الجميل أو تسريحة شعرى الجديدة والتى تظهرني وكأني في العشرين من عمري ... ينظّم لنا في كل صيف رحلة لإحدى المصايف .. بعيداً عن جو العاصمة الخانق ... نتمتع بغروب الشمس وهى تحتضن مياه البحر وتغلّفه بشعاعها ...

أتوقف أحياناً لأفكر إن كان قد إستطاع أن يدرك إني على أعتاب الخمسين ؟ ! فالأولاد تزوجوا والأحفاد يملأون البيت صراخاً ومرحاً ... إلا أنه لم يبدو أبداً أنه قد لاحظ تلك الشعيرات البيضاء التي بدأت تتسلل إلى شعرى بثقة وعزم .. ولا التجاعيد التي بدأت تحيط بعينىَّ ... كما لم يلاحظ لحظات القلق التي تنتابني وشعوري بعدم الأمان ... فالآلام بدأت تزحف إلى ركبتىَّ وظهرى ... لكنى دائما أرى نظراته المملوءة حنانا تحيطنى وإهتمامه بكل دقائق حياتنا تسندني ...

ومرت السنين ... وغزا الشيب شعرى فصار أبيض كالثلج ... وملأت التجاعيد وجهى فتغيرت ملامحه ... واضطررنا أن نمكث في البيت لعجزنا عن الحركة الكثيرة ... إلا أننا مازالت تربطنا معاً مشاعر الوّد والتواصل وننظر للعالم الجميل من خلال نافذه بيتنا ... تكشف لنا جزءاً من هذه الدنيا التي تحيط بنا .. إلا أن هذا الجزء الصغير يسعد تلك القلوب التي تآلفت وترفقت معاً طوال سنين إرتبطاها معاً ...

أدرك بحسه الأبوي أن الأولاد في صباهم يعتقدون خطأً أن كل شئ لهم إذا أرادوا ... ولكنه كان يتأنى عليهم كأثمن شئ يمتلكه ويريد ان يحافظ عليه من عبث الزمن ... فرض نفسه أباً حتى من وراء القضبان والقيود التي أحاطه به أولادنا لعدم إدراكهم لحكمة الأباء وتجاربهم ... فلما أدركوها إزدادوا حباً لنا وشعروا بالأسف والأسى ... وصارت أمنية حياتهم أن يعطوا لأولادهم حتى ولو جزء مما حققناه لهم ...

لقد أعطى حياته للآخرين ... فأسعدهم ... رأى في سعادة الآخرين سعادته ... كان هدية السماء لنا ومصدر بركة لكل من عرفوه وجد كل منا الآخر ... فعاشت أسرتنا في شباب دائم.

الفرصة الثانية

إبتسم الزوج وهو راقد على فراش مرضه في المستشفى إبتسامة باهته ليبث الطمأنينة في قلب زوجته المتلهفة على الاطمئنان عليه ... لقد أصيب بأزمة قلبية وها هو لا تكاد ترى وجهه وقد غطته الخراطيم وكمامة الاكسجين ... تنفست الزوجة الصعداء لهذه الابتسامة خاصة وقد جاءت تأكيدا لتقييم الأطباء عن حالته الصحية ... لكن فجأة اختفت الابتسامة لتكسو الشفاه زرقة قائمة في تقلص ظاهر تعلن عن أزمه قلبية جديدة ... إقتربت الزوجة لتسمع زوجها يتمتم " لقد حان وقت الرحيل ... إهتمي بأولادنا " أخذ الزوج يصلي طالباً المغفرة بينما صرخت الزوجة تطلب المساعدة خاصة وقد إرتخت يد زوجها التي كانت تمسك يدها بشدة ... اجتمع الأطباء والممرضات حول الزوج بينما تسمرت عينا زوجته عليه تبحث عن أمل جديد في الحياة ... أحس الزوج أنه يرتفع فق المجتمعين في الحجرة وهو ينظر اليهم بهدوء شديد ... وفجأة رأى نفسه وقد دُفع نحو نفق تضيئه الأضواء البرّاقة حيث أبصر أجمل ما يمكن للعين أن تراه وسمع ما لا يمكن للأذن أن تسمع به ... كان واثقا أن ما يراه ليس حلماً ... إذ رأى جبلاً عالياً تكسوه الزهور من قمته إلى سفحه ... زهور متفتحة متنوعة الألوان ... تنبعث منها أعزب الروائح ... ثم ظهر له شبه وجه إنسان منير تحوطه الجموع من صغار وكبار ... فأدرك أنه يرى الله ... إسرع الخطى ليلقي بنفسه في الأحضان الإلهية وقد فاض قلبه سلاماً وفرحاً لكن قبل أن يصل إرتفعت اليد الإلهية توقفه بينما آتاه صوت ربه " لم تأت ساعتك بعد إذهب راجعاً ".

للحظات كان نور الرب مازال يملأ عينيه ... وعندما اختفى ... إستطاع أن يميّز الأطباء والممرضات ... ونظرت زوجته المتعلقة بنظرة عينيه ... ثم إبتسم ... لقد تعرض لأزمة قلبية حادة ... هكذا شخّص الأطباء حالته ... وتوقف قلبه تماماً إلا إنه عاد ليعمل من جديد ... تمّ تغيير الشرايين التالفة في قلب الزوج الذي بدأ يستعيد قوته وصحته ... غير أن الرؤية التي رآها لم تفارق ذهنه وقلبه أبداً ... كذلك تلك الكلمات " لم تأت ساعتك بعد ... عد راجعاً" ومنذ ذلك الوقت صار للحياة مذاق جديد إذ إستعذب الزوج وجه الطبيعة الخلاّب ... وحياته الأسرية السعيدة ... وضوضاء أولاده في المنزل ... وإبتسامة الصديق بل وحتى فنجان الشاى الساخن في برودة الشتاء ... كذلك إستعذب أن يعطي من نفسه ومن وقته ومن ماله للآخرين ...

وبعد سنين طويلة إنتقل الزوج فجأة ... وبكل تأكيد رأى الوجه المضئ بينما الصوت الإلهـــي يقول له مرحباً " لقد أتت الساعة الآن " ... يأخذه في أحضانه الأبدية ..

في جنازة الزوج إجتمع الكثيرون ممن أعطاهم ... فالحياة لا تُقاس بعدد السنوات بل بالحــب المبذول من أجل الآخرين ... حقا كانت الفرصة الثانية .. فرصة ذهبية إستغلها الزوج فــي حب الله في شخص الآخرين .